Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكلام الله وما صح من حديث مصطفاه ﷺ هما نعم الظهير وأكبر نصير على النبوغ لمن رام تثبيت القواعد، ونشد حسن العبارة، وجودة السليقة، أُثِرَ عن حفيد ابن هشام أنه قال:

«إنما تمهرة فى العربية بقراءة البخارى وتنزيلى ما أقرأه على الاصطلاح»(١).

وقيل لابن هشام يومًا: هلا فسرت القرآن، أو أعربته؟ فقال: «أغنانى المغنى» أرأيت تورية أبلغ من هذه التورية؟!!

وعبارة ابن هشام تدل على تمكنه من القراءات، وعلى رسوخ قدمه فى فهم آى الذكر الحكيم، وأنه لو أراد أن يفرد لكل منهما مؤلفات لواتاه استعداده، وأسعفه اطلاعه، ولكن «المغنى» جمع فأوعى.

أما مكانة الرجل فى الفقه فتفصح عنها المجالس النحوية التى كان يغشاها والتى كانت تفيض بالألغاز الفقهية فى ألفاظ الطلاق، والتعليق.

وفى «الأشباه والنظائر» للسيوطى من ذلك شىء كثير، ولابن هشام فيه نصيب كبير، ولقد كان شافعى المذهب جل حياته، ثم صار حنبليًا، وفى عمره بقية لينال منصب التدريس فى المدرسة الحنبلية (٢).

ولو أتيح لابن هشام أن يؤلف فى الفقه لأتى فيه بالعجب العجاب، ولأعانة نبوغه فى النحو على المهارة فى الفقه، ألا ترى إلى الكسائى حينما سئل عن حكم السهو فى سجود السهو: أيجبر بالسجود؟ فقال: لا، فقيل له: لماذا، فقال: لأن المصغر لا يصغر، فقد اشتق الجواب من الصرف، وجاء بقياس هدى إليه العقل، ولا يتأباه النقل، فإذا كان هذا الجواب قد صدر من الصرفى الصرف، فما بال ما يصدر من صرفى ونحوى، دَرَسَ الفقهين، وفَقَهَ المذهبين، ثم هو إلى ذلك ذو لسان قوّال، وقلم سيّال، أزمّة البيان رهن لسانه، وأعنّة الكلام طوع بنانه، إنه يكون شافيًا وافيا.

ولا غرو فالرجل أديب ممتاز، غذاؤه الأدبىُّ ديوان الحكيم العربى «زهير بن أبى سلمى» صاحب الحوليات، تلقاه ووعاه عن الأديب المطبوع أبى حيان، وقد أكسبه ذلك أسلوبًا أدبيًا رائعًا، يتجلى فى خطب كتبه، حيث صاغها فى أسلوب رقيق الحواشى، حسن الرواء، كالدر المنثور، والروض الممطور، يبدو فيه الطابع الصحيح، والبيانُ الفصيح.

أما شرحه: لـ «بانت سعاد» فتغلب عليه مسحة النحو واللغة وأبنية التصريف.

---

(١) الضوء اللامع ٥ : ٥٦ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية.